الازدواجية اللغوية

- دراسة في علم اللغة الاجتماعي -

الدكتور عبدالرسول الخفاجي

مدرس علم اللغة ورئيس قسم اللغات/جامعة البصرة

(أ) مقدمة في تعريف الازدواجية

في عام ١٩٥٩ ، نشر تشارلس فيركسن Charles Ferguson بحثا رائدا عن الازدواجية اللغوية تحت عنوان Diglossia [١] عرف فيه الازواجية اللغوية بأنها وضع لغوي مستقر نسبيا تتوفر فيه بالاضافة الى اللهجات ، الرئيسية منها والمحلية ، نوعية مختلفة في اللغة غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا ، كما وتكون عادة مستودعا لتراث ضخم ومحترم من الادب المكتوب يعود اما الى زمن متقدم أو لمجتمع لغوي آخر . هذا ويتم غالبا تعلم هذه النوعية اللغوية الخاصة عن طريق المدارس ويتم استعمالها لاغلب اغراض الكلام في المواقف الرسمية ولاغراض الكتابة ولكنها لا تستعمل من قبل أي قطاع في المجتمع لاغراض المحادثة اليومية [٢] . ويذكر فيركس ببحثه المشار اليه أعلاه على سبيل المثال اربع بيئات لغوية

---

(١) يقترح الكاتب ترجمة كلمة Diglossia بعبارة « اذزدواجية اللغوية » واستعمال عبارة « الثنائية اللغوية » كمرادف لكلمة Bilingualism الانكليزية .

(٢) Charles A. Ferguson, "Diglossia," **Word**, Vol. 15 (1959), p. 336.

تسم بالازدواجية هي : العربية ، اليونانية الحديثة ، الالمانية السويسرية ، وفرنسية هايتي • وفي ختام مقالته الشهيرة يتوجه فيركسن بدعوة للباحثين للقيام بالمزيد من الدراسات لظاهرة الازدواجية اللغوية التي أهملت دراستها نتيجة لانصراف علماء اللغة لوصف التراكيب الداخلية للغات المختلفة وتقصيرهم تبعا لذلك في وصف الجوانب الاجتماعية التي تعمل ضمنها تلك اللغات • ومقالتي هذه محاولة لدراسة الازدواجية في اطار المجتمع العربي اهدف منها الى تسليط الاضواء على الجوانب اللغوية والاجتماعية لهذه الظاهرة المتميزة في مجتمعنا •

(ب) الازدواجية وظاهرة وجود لهجات مع لغة مشتركة

من الحقائق المسلم بها لغويا ان المجتمعات الانسانية التي لديها انظمة كتابة لا تتكلم بنفس الصورة التي تكتب بها وأن الثغرة بين لغة الكتابة ولغة الكلام قد تزداد سعة نتيجة لانغلاق الاولى النسبي وانفتاح الثانية[٣] ، كما هو الحال في العربية حيث تكون لغة الكلام العربية (العاميات) اكثر انفتاحا على اللغات الاخرى مما هو عليه في حالة عربية الكتابة (الفصحى) التي تفضل مثلا ايجاد مرادفات عربية عن طريق ترجمة المفاهيم المستعارة بدلا من الاستعارات اللغوية المباشرة • وحينما تكون الفجوة بين لغة الكلام ولغة الكتابة « واسعة » في مجتمع ما ، يتحدث اللغويو عادة عن وجود حالة في الازدواجية اللغوية في ذلك المجتمع • اما اذا كانت هذه الفجوة « معتدلة » فليس ثمة عادة أية اشارة الى وجود ازدواجية لغوية بل يكون الحديث في هذه الحالة عن وجود فروق لغوية متوقعة في اللغة الواحدة بين الكتابة والكلام لكونهما وسطين لغويين متميزين عن بعضهما ، ولكن يبدو

---

(٣) Paul Wexler, "Diglossia, Language Standardizat? ion "Purism",, Lingua, 27 (1971), p. 333.

ان تقرير وجود الازدواجية اللغوية أو عدمه استنادا الى مثل هذا المقياس النسبي في « السعة » و « الاعتدال » في الفرق بين لغة الكتابة والكلام أمر لا ينبغي للباحث اللغوي الجاد أن يقره لما به من مطاطية غير علمية ولا موضوعية • اذاً لابد من معيار اكثر موضوعية لتمييز حالة الازدواجية اللغوية عن الوضع اللغوي المألوف الذي يتمثل في وجود لغة مشتركة بالاضافة الى بعض اللهجات المحلية • ولعل في ملاحظة فيركسن بأنه لا يوجد في المجتمع المزدوج لغويا أي قطاع اجتماعي يستعمل بانتظام لغة الكتابة (أو الفصحى في حالة العربية) كوسيلة للحديث اليومي الاعتيادي ما يمكن اتخاذه أساسا لتمييز المجتمعات المزدوجة لغويا عن غيرها[٤] • فمثلا ان أية محاولة من قبل أي فرد في المجتمع العربي لاستعمال الفصحى كلغة للحديث اليومي تبدو مصطنعة ومتكلفة • اما في حالة الوضع اللغوي الاكثر شيوعا ، أي وجود لغة مشتركة بجانب العاميات[٥] ، فأن اللغة المشتركة (التي تقابل الفصحى بالعربية) تكون هي نفسها لغة الحديث اليومي الاعتيادية لمنطقة جغرافية ما أو لاكثر أو لقطاع اجتماعي معين • وبنفس الوقت تستعملها القطاعات الاجتماعية أو المناطق الجغرافية الاخرى كلهجة عليا أو لغة مشتركة داخل ذلك المجتمع اللغوي • وباستعمال هذا المقياس البسيط والواضح يمكننا تمييز الاوضاع اللغوية المختلفة في العالم من حيث كونها ازدواجية أم لا • كما ويبدو جليا لنا الآن أن الوضع اللغوي في العالم العربي تتمثل فيه الازدواجية اللغوية بشكل واضح جدا •

---

(٤) Ferguson, **Op. Cit.**, p. 336.

(٥) كما هو الوضع اللغوي في بريطانيا مثلا •

(ح) الخصائص العامة للازدواجية اللغوية

وقبل البدء بتحليل المميزات الخاصة للازدواجية اللغوية العربية ، موضوع هذا المقال ، قد يكون من الملائم التحدث عن أهم الخصائص العامة التي تشترك بها جميع الازدواجيات اللغوية في العالم • فبعد أن يتسنى للدارس اللغوي اكتشاف وتحديد الظواهر اللغوية الازدواجية ، حسبما هو مذكور أعلاه ، يصبح من الضروري الآن أن تتم دراسة هذه الظواهر الهامة والتحري عن خصائصها المميزة وقوانينها اللغوية • ان دراسة كهذه ستكشف لنا بأن لجميع حالات الازدواجية اللغوية في العالم بعض الخصائص الرئيسية المشتركة • ويمكن تبيان هذه الخصائص المشتركة العامة بما يلي[٦] :

١ ـ الوظيفة اللغوية :

لعل من ابرز خصائص الازدواجية اللغوية في العالم هو ذلك التوزيع الوظيفي المتمايز بين الفصحى والعامية حيث أن لكل منهما دوراً اجتماعياً لغوياً خاصاً بها • وهكذا نجد أن الفصحى هي السائدة في بعض المواقف والاستعمالات بينما تستعمل العامية وحدها لاغراض أخرى • وفي أدناه جرد توضيحي كمثال لهذا التوزيع الاجتماعي ـ اللغوي المتكامل للفصحى والعامية :

المواعظ الدينية في المساجد او الكنائس	الفصحى
الخطب السياسية	الفصحى
المحاضرات	الفصحى
التحدث مع العائلة والاصدقاء	العامية

(٦) Ferguson, **Op. Cit.**, pp. 329-338.

نشرات الاخبار	الفصحى
التمثيليات الشعبية	العاميـة
افتتاحيات الصحف	الفصحى
النكات	العاميـة
الشعر	الفصحى
الادب الشعبي	العاميـة

ومن المهم جدا من الناحية الاجتماعية استعمال النوعية اللغوية الملائمة لغرض معين ، فأن أي استعمال للفصحى والعامية لغير أغراضهما المعتادة يضع المتكلم (أو الكاتب) في موضع السخرية أو الغرابة كما يحدث مثلا في العربية اذا ما استعمل احدهم الفصحى لاغراض الحديث اليومي أو العامية في القاء محاضرة جامعية .

٢ ـ المنزلة الاجتماعية :

تعد الفصحى في جميع المجتمعات المزدوجة لغويا أرقى من العامية وفي أغلب الاحيان ، كما في الازدواجية العربية مثلا ، تعـد الفصحى الممثل الحقيقي الوحيد لتلك اللغة بينما لا ينظر للعامية سوى أنها تمثل ظاهرة فساد وانحطاط لغوي !

٣ ـ التراث الادبي :

تتميز الفصحى في حالات الازدواجية اللغوية كافة بوجود تراث تضخم من الادب المكتوب فيها والذي هـو محط تقدير جميع أفراد ذلك المجتمع اللغوي . وفي حالة لغتنا العربية ، فان أدب الفصحى هذا يمثل نتاج حقبة طويلة من الزمن . ونتيجة لهـذه العراقة والتقدير فأنه من الملاحظ أن بعض كتاب العربية المعاصرين لا يجدون خـيراً في استعمال مفردات وتراكيب لغوية كانت سائدة في فترة مـا في الماضي ولم يعـد

استعمالها شائعا في الوقت الحاضر • وهكذا نجد في كتابات اليوم ، وخصوصا في الشعر ، تعابير قديمة جدا لا يفهمها أغلب القراء ومع هذا فأن الكاتب أو الشاعر الذي يستعمل مثل هذه التعابير والمفردات يزداد تقديره على أساس أنه يتقن العربية فعلا[٧] •

٤ ـ اكتساب اللغة :

يمكن ملاحظة أن العامية تلعب دور « اللغة الأم » في جميع حالات الازدواجية فهي اللغة التي يتعلمها الاطفال بطريقة « طبيعية » في البيت والشارع مع أهلهم وأقرانهم ، بينما يتم تعلم الفصحى عن طريق المدارس بعد أن يكون الطفل قد تعلم العامية بعدة سنوات • ان هذا الاختلاف في طريقة اكتساب اللغة له تأثير بالغة الاهمية اذ أننا نجد الفرد في المجتمعات المزدوجة لغويا يتحدث بالعامية بطلاقة ويسر لا تتوفران له عند الحديث بالفصحى • كما وأن تعلم الفصحى بالمدارس وبوقت متأخر نسبيا يجعل هذا التعلم مرتبطا بالقراءة والكتابة وكتب النحو والقواعد في الوقت الذي يتم فيه تعلم العامية « لا شعوريا » الى حد ما • ان غياب الارتباط هذا بين العامية من جهة وبين القراءة والكتابة وكتب النحو من جهة أخرى قد جعل الكثيرين يستنتجون خطأ أن العامية ليست لغة على الاطلاق وأنه لا نحو ولا قواعد لها[٨] • أما بالنسبة للعالم اللغوي ، فالامر مختلف تماما اذ أنه ينظر الى الفصحى والعامية على أنهما لهجتان لهما نفس القيمة اللغوية ويخضعان لنفس الدراسات والقوانين اللغوية وان تمييز الاولى على

---

(٧) كما هو الحال في شعر الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري مثلا •

(٨) لقد لاحظ الكاتب أن أغلب طلبته في موضوع علم اللغة ينكرون في مستهل دراستهم أن يكون للعامية العربية نحوا وقواعدا • ولكنهم سرعان ما يغيرون موقفهم بعد اطلاعهم على بعض الحقائق اللغوية الاساسية •

الثانية قد يكون أساسه اجتماعي أو ديني أو اقتصادي ولكنه ليس لغويا أبدا .

٥ ـ الاستقرار اللغوي :

ان ظاهرة الازدواجية اللغوية ، بكل تناقضاتها ، ليست غير مستقرة وقلقة الى الحد الذي قد يتصوره البعض . وان ما يؤدي الى استقرار الازدواجية هو عدم التعارض في الوظيفة اللغوية بين أطراف الازدواجية نظرا لوجود توزيع وظيفي متكامل بين هذه الاطراف . ولذا فقد تدوم الازدواجية لقرون عدة كما هو الحال في الازدواجية العربية مثلا التي تدل الكثير من الشواهد التاريخية على قدمها ورسوخها . ولكن مما لاشك فيه أن التوترات والصراعات اللغوية داخل أجنحة الازدواجية تجعلها أقل استقرارا نسبيا وأكثر عرضة للتغير . وهكذا فأن من الملاحظ في حالات كثيرة من الازدواجية نشوء بعض الاشكال اللغوية المتوسطة ، مثل ما يدعى بـ « العربية الوسطى » التي هي نوع من عربية الكلام يغلب استعمالها في المواقف شبه الرسمية وللتفاهم بين أفراد اللهجات الرئيسة المختلفة في الوطن العربي[٩] .

٦ ـ النحو :

يولي علم اللغة الحديث أهمية خاصة لتحليل التركيب النحوي لأية لغة تتم دراستها . وفي حالات الازدواجية المختلفة التي تمت دراستها في العالم ، لوحظ أن الفرق في التركيب النحوي يشكل أهم الفروق بين طرفي كل حالة ازدواجية على حدة ، أي بين الفصحى والعامية . ورغم

---

(٩) ان هذا النوع من العربية يتميز باحتوائه على نسبة عالية من مفردات الفصحى ولكن النظام النحوي والصرفي للعربية الوسطى هذه يحتوي على الكثير من خصائص العامية .

صعوبة اطلاق التعميمات اللغوية ، الا أنه يمكن القول استنادا الى دراسة الكثير من التراكيب النحوية للفصحى والعامية في حالات متعددة من الازدواجية اللغوية بأن التركيب النحوي للعامية أبسط مما هو عليه في الفصحى • فقد لوحظ مثلا أنه توجد في الفصحى الكثير من الابواب النحوية التي تكون مفقودة بالعامية ، وكذلك تمتلك الفصحى نظام تصريف للاسماء والافعال يكون اما مبسطا جدا بالعامية أو مفقودا • ففي العربية الفصحى مثلا ثلاث حالات للاسماء تتمثل صرفيا بالرفع والنصب والجر في نهاياتها بينما تفتقد العامية أيّاً من هذه الاشكال الصرفية للاسماء فيها •

٧ ـ المفردات :

تشترك العامية والفصحى في أغلب مفرداتهما ، مع ملاحظة أن المفردات المشتركة تختلف في بعض وجوه لفظها وأحيانا حتى في الدلالة والاستعمال بين طرفي الازدواجية اللغوية • ولعل من الجدير بالملاحظة في هذا المجال أنه بجانب النسبة العالية من المفردات المشتركة بين العامية والفصحى ، نجد أن هنالك العديد من المفردات التي تمتلكها احدهما ولكن الاخرى تفتقدها ، فالفصحى تضم عادة بين مفرداتها العديد من الكلمات ذات العلاقة بالعلوم والفنون والثقافة التي لا مرادف لها بالعامية • ولايعني هذا عجز العامية من الناحية اللغوية عن التعبير عن الافكار والقيم التي تجسدها هذه الكلمات بقدر ما يعني أن مثل هذه الموضوعات لا يتم طرقها عادة بالعامية • ويتأكد هذا حينما نلاحظ أن العامية بالمقابل تضم بين مفرداتها كلمات وتعابير تجسد حاجات يومية مألوفة لا مرادف لها بالفصحى لكونه قد جرت العادة على عدم استعمال الفصحى لطرق مثل هذه الموضوعات • وبالاضافة لما تقدم في مجال الاختلاف بين مفردات العامية والفصحى ، ينبغي ملاحظة احدى الظواهر اللغوية المميزة للازدواجية :

وهي وجود عدد من المفردات المتقابلة بين العامية والفصحى التي تختلف كليا من ناحية الشكل اللغوي رغم تعبيرها عن نفس المعنى تقريبا • ان توزيع مثل هذه الازواج من الكلمات يتحكم فيه التوزيع الوظيفي الاجتماعي للعامية أو الفصحى ولذا نجد أن استعمال هذه أو تلك من هذه المفردات المتقابلة يكفي لصبغ الكلام المستعملة فيه بالفصحى أو العامية ، وعلى سبيل المثال ، فأن كلمتي أنف وخشم بالعربية العراقية لهما نفس الدلالة ولكن الاولى فصحى والثانية عامية • وكذلك ازواج المفردات المتقابلة التالية حيث تكون الكلمة الاولى في كل منها فصحى والثانية عامية : خروف = طلي ، الآن = هسّه ، نعم = إي ، ذهبَ = راح ، الخ •

٨ ـ التركيب الصوتي :

توجد دائما بعض الفروق في التركيب الصوتي بين طرفي الحالات الازداجية اللغوية رغم أن هذه الفروق قد تكون كبيرة أو محدودة • ويمكن تلخيص الفروق الصوتية المحتملة في أمرين :

أ ـ وجود بعض الاصوات اللغوية في الفصحى وفقدانها في العامية والعكس بالعكس •

ب ـ اختلاف في توزيع أصوات كلٍ من الفصحى والعامية ، أي في الانماط الصوتية •

ولتوضيح ما جاء أعلاه ، يمكننا الاستشهاد بأمثلة من الازدواجية العربية •

فبالنسبة لوجود أو فقدان بعض الاصوات اللغوية ، نجد أن العامية العراقية[١٠] مثلا تستعمل أصوات لا تستعملها الفصحى مثل

(١٠) من المعروف لغويا أنه توجد في العراق نفسه لهجات متعددة •

/چ/ و /پ/ و /گ/ • وعلى العكس ، فأن صوت /ق/ في الفصحى لا يستعمل في العامية الا في قليل جدا من الكلمات • ولعل من الجدير بالملاحظة هنا أنه في حالة لفظ كلمات بالفصحى تحوي على أصوات غير موجودة بالعامية ، فان اصوات العامية غالبا ما تحل محل أصوات الفصحى هـذه ، فمثلا غالبا ما يستبدل المصريون والسوريون صوت الثاء بصوت السين أو التاء حين قرائتهم بصوت عال أو تحدثهم بالفصحى وذلك نظرا لفقدان العاميتان المصرية والسورية لصوت الثاء • ولذا فهم يلفظون كلمة ثلاثة مثلا على شكل سلاسة أو تلاتة •

اما بالنسبة للاختلاف في توزيع الاصوات اللغوية فيمكن اعطاء مثل من الاختلاف بين العامية العراقية والعربية الفصحى في هذا المجال • فان من خصائص التركيب الصوتي للعامية العراقية مثلا عدم استعمال الصوامت المركبة في أواخر الكلمات بينما تستعملها العربية الفصحى باستمرار • ولذا فأن الصامت المركب /س ر/ في كلمة مثل /جِسْر/ يتم فكه بالعامية بأضافة صائت وسطي وبذا تلفظ الكلمة /جِسِر/ • والعكس يحدث في الصوامت المركبة في بدايات الكلمات حيث هي شائعة الاستعمال بالعامية بينما هي مفقودة بالفصحى • ولهذا نجد كلمة فصحى مثل /كِتاب/ تلفظ بالعامية على شكل /كْتاب/ ، أي أن الكلمة بالعامية تبدأ بصامت مركب /كْت/ تم استحداثه فيها بعد حذف صامت الكسرة الموجود في لفظ الكلمة بالفصحى •

(د) الخصائص اللغوية للازدواجية العربية

وبعد الحديث في الفقرة (حـ) أعلاه عن الخصائص العامة للازدواجية

→

لذا فاني استعمل لهجة بغداد ، باعتبارها اللهجة الاوسع انتشارا وحظوة ، في المقارنة والامثلة التي أسوقها هنا •

اللغوية كظاهرة ، أي تلك التي تشترك بها الازدواجية العربية مع غيرها من الازدواجيات اللغوية في العالم ، يمكننا الآن أن نركز على الازدواجية العربية بالذات في محاولة لاكتشاف خصائصها اللغوية المميزة • ونظرا لكون الفقرات السابقة في هذا المقال قد تطرقت ، سواء من خلال الامثلة أو الشرح ، الى التوزيع الوظيفي والاجتماعي لطرفي الازدواجية العربية الفصحى والعامية ، فأن البحث هنا سيركز بالدرجة الاولى على التوزيع اللغوي البحت لهذين النوعيتين اللغويتين في العربية • ان دراسة ظاهرة معقدة مثل الازدواجية اللغوية تبقى ناقصة بدون دراسة الجانب اللغوي فيها • ولفرض هذه الدراسة اللغوية ، سأستعمل العامية العراقية كممثل للعاميات العربية[١١] واقارنها باختصار من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والمفردات مع العربية الفصحى كما هي مستعملة في يومنا هذا[١٢] •

---

(١١) من المفيد جدا أن تتم دراسات لغوية للمقارنة بين مختلف العاميات العربية للتعرف على اوجه الشبه والاختلاف فيما بينها • ولعل من الدراسات الرائدة في هذا الخصوص ، المقارنة بين العاميات العربية للاستاذ عبدالعزيز بنعبد الله المنشورة في الجزء الثاني ، المجلد التاسع (١٩٧٢) من مجلة **اللسان العربي** التي يصدرها في المغرب المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي •

(١٢) ان الدراسات المقارنة بين العامية والفصحى ، وخصوصا الحديثة منها ، قليلة جدا • ولعل أفضل ما كتب في هذا الصدد حديثا الكتاب التالي الذي كان احد مراجعي الاساسية في كتابة هذا الجزء من البحث

Salih J. Altoma, **The Problem of Diglossia in Arabic** (Cambridge, Mass. : Harvard University Press, 1969.).

أولا : التركيب الصوتي :

١ ـ الصوامت :

تتمثل في العامية العراقية جميع أصوات العربية الفصحى ، ما عدا صوتي الظاء والضاد فأنهما قد امتزجتا في صوت واحد في العامية • كما وتوجد في العامية كذلك ثلاثة أصوات اضافية هي /گ/ و /چ/ و /پ/ • وبالاضافة لذلك فأن العامية العراقية تمتاز بقلة استعمالها لصوتي القاف والهمزة وكثرة استعمالها لصوت اللام المفخمة •

٢ ـ الصوائت :

توجد في الفصحى ستة صوائت هي الفتحة والكسرة والضمة مضافا الطول لكل منها • كما ويوجد فيها كذلك اثنان من الصوائت المركبة وهما /أَيْ/و/أَوْ/ • وكل هذه الصوائت موجودة كذلك في العامية العراقية مع اضافة صائتين طويلين هما / é / , / ó / كما في الكلمتين بيت و صوت يلفظهما العامي • ولعل أهم فرق بين أصوات العامية والفصحى هو فقدان التطابق في الصوائت بين الالفاظ المشتركة بينهما : فالصوائت الطويلة في الفصحى مثلا تقابلها صوائت قصيرة بالعامية في أغلب الاحيان ، مثلا /هواء/ و /هَوَ/ • أما الصوائت القصيرة فيكون الاختلاف فيها أكبر بين العامية والفصحى ، فصائت الفتحة مثلا في الفصحى اما يختفي كلية أو يستبدل بالكسرة أو بالضمة بالعامية ومثال ذلك :

فصحى	عامية
/كَبير/	/چِبير/ أو /چْبير/
/طَويل/	/طُويل/ أو /طْويل/

٣ ـ الصوامت المركبة :

تمتاز العامية العراقية بوجود صوامت مركبة في بدايات بعض كلماتها ، مثل /چبير/ و /طويل/ الواردة أعلاه ، بينما لا توجد أية صوامت مركبة في أوائل الكلمات بالفصحى • ومن الناحية الاخرى ، تفتقد العامية الصوامت المركبة في أواخر الكلمات[١٣] بينما توجد الصوامت المركبة الآخرية في كلمات كثيرة بالفصحى ، مثل /سِلْم/ و /صُبْح/ و /طَعْم/ • وتتجنب العامية الصوامت المركبة الآخرية بحشر أحد الصوائت القصيرة ، الفتحة أو الكسرة أو الضمة ، قبل آخر أصوات الكلمة المنتهية بصامت مركب علما بأن اختيار أحد هذه الصوائت القصيرة يقرره التشابه مع الصائت الذي يسبقه في الكلمة التي يضاف اليها • لذا فالكلمات الفصحى الثلاثة أعلاه تلفظ بالعامية كالتالي : /سِلِم/ و /صُبُح/ و /طَعَم/ •

ثانيا : الصرف (تركيب الكلمة)

١ ـ الاسماء :

(١ـ١) الحركات الاعرابية :

لعل من أهم الفروق الصرفية بين العامية والفصحى هو عدم وجود حركات اعراب أو تنوين في أواخر الاسماء بالعامية • كما وان حركات المثنى الاثنين في الفصحى تقابلهما حركة واحدة بالعامية وحركات جمع المذكر السالم الثلاثة تقابلها حركة واحدة أيضا بالعامية • وهكذا فالوالدان للمثنى والمعلمون للجمع في حالة الرفع والوالدين والمعلمين في حالتي النصب والجر تقابلها الوالدين والمعلمين على التوالي في جميع الحالات بالعامية •

---

(١٣) الا في قليل من الكلمات العامية المستعارة مباشرة في الفصحى مثل / كَلَب / • (لاحظ كذلك وجود شكل عامي لهذه الكلمة ينعدم فيه الصامت المركب الآخري : / چَلِب / •

(١ـ٢) الجنس :

تميز العربية الفصحى منها والعامية في أسمائها وأفعالها بين جنسين لغويين هما المذكر والمؤنث • ولكن هنالك مع هذا بعض الفروق فيما يخص الجنس اللغوي بين العامية والفصحى • فهنالك أولا الكثير من الاسماء بالفصحى التي يمكن أن تعامل معاملة المذكر أو المؤنث في نفس الوقت ، ومثال ذلك قِدر ، وسوق وروح وطريق ، ولكن العامية تخلو عادة من مثل هذه الثنائية في الجنس اللغوي • ثم هنالك أيضا أسماء مذكرة في الفصحى ولكنها مؤنثة في العامية مثل مستشفى ، وعلى العكس من ذلك توجد أسماء مثل سنّ وكتف هي مؤنثة في الفصحى ولكنها مذكرة في العامية •

(١ـ٣) العدد :

للاسم ثلاث حالات عددية في الفصحى والعامية على السواء وهي :

المفرد والمثنى والجمع • ولعل أهم فرق بين العامية والفصحى في مجال العدد اللغوي هو أن العامية لاتستعمل صيغة المثنى في الاسماء الا بشكل محدود كما وأنها لاتستعملها بتاتا ، خلافا للفصحى ، في الصفات والضمائر وأسماء الاشارة والافعال •

٢ ـ الافعال :

في الوقت الذي تحتفظ فيه العامية بالخواص الاساسية لافعال الفصحى فأن لافعالها بعض المميزات الخاصة بها كما هو مبين في أدناه :

(٢ـ١) تركيب الافعال :

لعل أهم فرق بين العامية والفصحى فيما يخص تركيب الفعل وبنيته أنه بالمقارنة مع تراكيب الفعل الماضي الثلاثة في الفصحى/فَعَل ، فَعِل ، فَعُل/، فأن العامية تستعمل تركيب/فِعِل°/على الاغلب للدلالة على الماضي

كما في /كِتَبْ ، كِسَرْ ، سِبَحْ/ ... الخ .

(٢ـ٢) حركات أواخر الافعال :

تتحكم في أواخر الفعل المضارع بالفصحى حركات مشابهة لحركات أواخر الاسماء فيها ، حيث تكون أفعال الفصحى اما مرفوعة الآخر أو منصوبته أو مجزومته . أما بالعامية فتنتهي كل أفعال المضارع بالسكون ، أي بغياب الحركة الاعرابية .

(٢ـ٣) صيغ الزمن :

تمتاز العربية من بين أخواتها الساميات بنظام فعلي متطور للدلالة على الزمن اللغوي . وأساس هذا النظام في كلا الفصحى والعامية هو صيغتا الفعل الماضي والمضارع لوحدهما أو باشتراكهما في تراكيب فعلية مختلفة مع الفعل كان بأشكاله المختلفة . وان أهم مايميز العامية عن الفصحى في مجال الصيغ الفعلية الزمنية هو امتلاك العامية لصيغة فعلية متخصصة للدلالة على المضارع المستمر بينما تفتقد الفصحى مثل هذه الصيغة . وتستعمل العامية لهذا الغرض كلمة دا مضافة الى الفعل المضارع ، كما في دايكتب أو دايمشي . أما الفصحى فتضطر للاستعانة بظروف الزمن الدالة على الحاضر وتستعملها مع الفعل المضارع للتعبير عن المضارع المستمر كما في : هو يكتب الآن . ومن الفروق الاخرى بين الفصحى والعامية في مجال الزمن اللغوي هو ان اشارة الاستقبال ســ ـ و سوف في الفصحى تقابلهما بالعامية كلمة راح بأشكالها المختلفة .

(٢ـ٤) صيغة المبني للمجهول :

ان صيغة الفعل المبني للمجهول بالفصحى ، والتي هي نتيجة لاحداث تغييرات في بنية الفعل الداخلية ، لا أثر لها بالعامية حيث تستعمل العامية بدلا منها صيغة المطاوعة كما في انكسر وانهدم ، الخ ..

ثالثا : النحو (تركيب الجملة)

تتلخص أبرز الفروق في تركيب الجملة بين الفصحى والعامية في :

١ ـ مجال تركيب الكلمات داخل اطار الجملة

حيث هنالك مرونة كبيرة في مواضع الكلمات داخل اطار الجملة في الفصحى ، كما يتضح من المثال التالي :

سأل المعلمُ الطالبَ
المعلمُ سأل الطالبَ
سأل الطالبَ المعلمُ

ففي الجمل الثلاث أعلاه تبقى العلاقات النحوية بين أطراف الجملة ثابتة حيث تدل الحركة الاعرابية لكل من المعلم والطالب على وظيفتيهما النحوية بغض النظر عن موقعهما في الجملة • أما العامية فانها تفتقد مثل هذه المرونة ولذا نجد ان الترتيب المفضل فيها هو (المعلم سأل التلميذ)، أي بتقديم الفاعل ثم الفعل يتبعه المفعول • ولعله بات واضحا مماتقدم أعلاه ان سر مرونة الفصحى بهذا الخصوص هو احتفاظها بنظام حركات الاعراب في أواخر اسمائها ، ذلك النظام الذي فقدته العامية(١٤) •

٢ ـ علاقة الفعل بالفاعل :

ان الاختلاف في هذه العلاقة يشكل فارقا أساسيا بين الفصحى والعامية في مجال النحو • فحيث نجد ان الفعل في الفصحى يبقى مفردا قبل الفاعل

---

(١٤) هناك تشابه كبير في هذا المجال بين مرونة اللغة اللاتينية في ترتيب الكلمات داخل الجملة وانعدام هذه المرونة باللغة الانكليزية ، وذلك يرجع أيضا لكون اللاتينية لغة ذات نهايات اعرابية بينما فقدت الانكليزية الحديثة مثل هذه اللواحق الصرفية في أسمائها •

مهما كان عدد الاخير اللغوي ، فأن الفعل في العامية يكون مفردا اذا كان الفاعل الذي يليه مفردا وجمعا اذا ماكان فاعله مثنا أو جمعا .

٣ ـ نظام الاعداد :

تختلف العامية عن الفصحى في أن نظام تكوين الاعـداد في الاولى أبسط بكثير من نظام الفصحى المعقد . فبالاضافة الى كون أواخر كلمات الاعداد تخلو من الحركات الاعرابية في العامية ، نجد ان هذه الكلمـات يخلو أغلبها من التميز اللغوي في الجنس الذي تربطه الفصحى مع جنس المعدود ، كما يمكن ملاحظته في الاعداد من ٣ الى ١٩ مثلا في أدناه :

الفصحى	العاميـة
أربعة بيوت (مذكر)	أربع بيوت
أربع مدارس (مؤنث)	أربع مدارس
أحد عشر رجلاً (مذكر)	دَعَش رِجّال
احدى عشرة امرأة (مؤنث)	دَعَش مَرَه

رابعا : المفردات :

يمكن تصنيف الفروق بين مفردات العربية الفصحى والعاميـة الى نوعين : (١) فروق شاملة و (٢) فروق جزئية . أما النوع الاول فيتمثـل في استعمال العامية والفصحى لازواج متقابلة من الكلمات التي تختلـف تماما في تركيبها الصوتي للاشارة الى دلالة واحدة وذلك مثال[١٥] :

حقية = جنطة ، ملعقة = خاشوگه ، الامس = البارحه .

أما النوع الثاني من الفروق في مجال المفردات ، فيتمثل في المترادفات

---

(١٥) لمزيد من الشرح والامثلة ، يمكن الرجوع للقسم رقم (٧) من الفقرة (حـ) أعلاه .

التي تختلف في بعض تركيبها الصوتي بين العامية والفصحى ، وذلك كما في :

فصحى	عامية
جاء	اجه
يَد	ايد
أُذُن	إذان
بُكرة	باجِر

(هـ) الجذور التاريخية للازدواجية اللغوية العربية وعلاقتها بحاضرها

يمكن للباحث في موضوع الازدواجية اللغوية العربية أن يتتبع جذورها حتى الى فترة ماقبل ظهور الاسلام • وتوجد كثير من الاشارات لهذه الظاهرة في العديد من الدراسات اللغوية والادبية منذ القرن التاسع وحتى الوقت الحاضر[١٦] • ويرى الباحث اللغوي تشارلس فيركسن بأن ظاهرة الازدواجية اللغوية بصورة عامة تظهر للوجود في مجتمع ما حين توفر الشروط التالية[١٧] :

١ ـ رصيد ضخم من الادب في لغة (أو لهجة) قريبة (أو مماثلة)•

٢ ـ عدد قليل ممن يحسنون القراءة والكتابة •

٣ ـ مرور فترة كافية من الزمن ، تقدر بحوالي عدة قرون ، على توفر الشرطين الاول والثاني أعلاه •

---

(١٦) انظر مثلا كتابات الجاحظ والجواليقي وابن قتيبة حول الموضوع •

(١٧) Ferguson, **op. cit.**, p. 338.

ويبدو ان الشروط الثلاثة أعلاه كانت قد توفرت فعلا في مجتمعنا العربي حيث ان العربية الفصحى لم تكن أصلا سوى اللغة الادبية التي اجتمع على القول بها في أسواقهم الادبية شعراء وادباء اللهجات العربية المختلفة[١٨] • أما حقيقة ان الامية كانت متفشية في مجتمعنا العربي قديما فان الشواهد والادلة التاريخية عليها أكثر من كثيرة[١٩] ، وما زال مجتمعنا حتى اليوم يعاني من تفشي هذه الظاهرة •

ان الشروط الثلاثة أعلاه قد توفرت اذا في البيئةاللغوية/الاجتماعية العربية منذ عصر الجاهلية • ويبدو أنها هي المسؤولة عن ظهور حالة الازدواجية اللغوية العربية التي بدت واضحة بالاخص بعد انتشار التعليم ووسائل الاعلام مؤخرا حيث أدى هذا الى أن ينتشر استعمال الفصحى بين المتعلمين العرب مع احتفاظها بلهجاتهم المختلفة • كما وان الطابع الادبي والديني الغالبين على الفصحى بالاساس قد أديا بدورهما الى أن لا تستعمل هذه الفصحى ، بل العامية ، للاغراض الحياتية اليومية الاعتيادية • انهذا الوضع اللغوي الاجتماعي هو جوهر الازدواجية ، كما مر بنا ذكره سابقا • هذا ويبدو ان اجتماع الظروف الثلاثة أعلاه قد أدى مرارا عبر التاريخ الى نشوء ظواهر ازدواجية لغوية في أماكن كثيرة من العالم •

وبالرغم من قِدم ظهور الازدواجية اللغوية في المجتمع العربي ، كما ورد ذكره أعلاه ، فان الاحساس بكون هذه الازدواجية مشكلة تعرقل انتشار التعليم والنشاط الثقافي بأشكاله المتعددة لم يبدو واضحا الا في وقت متأخر جدا خلال القرن التاسع عشر • وليس هذا الوضع بغريب ، حيث

---

(١٨) د• ابراهيم انيس • **في اللهجات العربية** (القاهرة : ١٩٦٥) ، ص ٣٦ ــ ٤٠ •

(١٩) نفس المصدر السابق •

ان انتشار التعليم ، كما ورد في الفقرة أعلاه ، قد نشر الفصحى ، وهي أحد طرفي الازدواجية العربية ، وبذلك ساهم في توسيع رقعة الازدواجية وزيادة شموليتها • وعندما ازداد الاحساس مؤخرا في الوطن العربي بأن الازدواجية اللغوية تكّون مشكلة لها أبعاد ثقافية واجتماعية ، بدأت بالظهور دعوات للتوحيد اللغوي • واتخذت محاولات التوحيد هذه أشكال مختلفة واتجاهات متعددة ، كما يتضح من الفقرة (و) أدناه •

(و) آراء ومؤشرات نحو المستقبل بخصوص الازدواجية العربيـــة

ان انتشار التعليم ووسائل الاعلام المختلفة تؤدي ، كما جاء أعلاه ، الى الاحساس المتزايد بمشكلات الازدواجية اللغوية ومن ثم الى ظهـــور دعوات للتوحيد اللغوي ، كما سبق ذكره • وتأخذ هذه الدعوات عادة أحد الاتجاهات التالية :

(١) الدعوة لتبني الفصحى لغة عامة لجميع الاغراض الاجتماعية والثقافيـــة •

(٢) الدعوة لتبني العامية لجميع الاغراض •

(٣) الدعوة لتبني لغة وسطى تضم ملامح من كلا العامية والفصحى •

وفي العالم العربي ظهر أنصار ومؤيدون لكل من الاتجاهات الثلاثـة المذكورة اعلاه • فبالنسبة لتبني الفصحى ، فقد دعى الكثيرون الى تبنـــي استعمالها كلغة للحياة اليومية بالاضافة الى استعمالاتها الثقافية والدينية •ومما شجع هذا الفريق في دعوتهم هو انتشار التعليم وظهور محاولات لتبســيط تعليم العربية الفصحى • ويستند دعاة هذا الفريق الى حجج متعددة منهـا الحفاظ على الروابط اللغوية مع التراث العربي والاسلامي وكذلك وحدة الاقطار الناطقة بالعربية ، كما وانهم غالبا مايلجأون الى تبرير دعواهـــم

بالحديث عن تفوق الفصحى على غيرها من النواحي الجمالية والتعبيرية والمنطقية وحتى الدينية • ورغم ضعف هذه التبريرات أمام التقييم اللغوي الموضوعي البحت ، فانها مع ذلك ذات أهمية كبرى لكونها تعكس آراء ومعتقدات اجتماعية قوية •

أما الاتجاه لاستعمال العامية للاغراض الاجتماعية والثقافية كافة ، فأن دعاته في الوطن العربي يستندون بدعواهم لكون العامية أقرب الى مشاعر وتفكير الناس ، كما وان استعمالها برأيهم يحل مشكلة تدريس اللغة العربية لكون العامية ستكون اللغة الطبيعية في كلا البيت والمدرسة • ورغم ان تبني دعوة استعمال العامية سيزيل بلا شك حالة الازدواجية اللغوية ، ان أن هذه الدعوة قد رفضت باستمرار لعدد من الاعتبارات هي بالاساس اعتبارات غير لغوية • فمثلا هنالك الخوف من أن تبني العاميات المختلفة في الاقطار العربية المختلفة سيؤدي الى انفصام عرى الوحدة في الوطن العربي• ثم هنالك الرافضون لاستعمال العامية لاسباب دينية لكون العربية الفصحى لغة الاسلام والقرآن التي يتوجب صيانتها والحفاظ عليها • كما وهنالك التبريرات الثقافية لرفض العامية على أساس ان الفصحى تربط العرب بتراثهم الثقافي وان أي تبني للعامية سيقطع العرب عن ماضيهم الحضاري •

ويبقى أخيرا الاتجاه الثالث بتبني لغة وسطى تستند بالاساس على الفصحى بعد تبسيطها بشكل يجعلها أقرب الى الملامح اللغوية الرئيسية للهجات العربية • ولذا فقد دعى أنصار هذه الدعوة لتبني اللغة الوسطى الى التخلي عن النظام المعقد للحركات الاعرابية في أواخر الافعال والاسماء الموجود في العربية الفصحى لكون هذا يشكل أحد أكبر أوجه الخلاف بين الفصحى والعاميات العربية • ان مثل هذا التبسيط للفصحى سيساعد كثيرا في تقليص الفجوة بين الفصحى والعاميات ولكن يجب ألا يخفى عن

البال ان تبنيه ستتمخض عنه تغيرات أساسية أخرى في قواعد استعمال الفصحى[٢٠] ولهذا السبب بالذات قوبلت هذه الدعوة بالرفض من قبل أنصار الفصحى الذين يبدو أن أقصى مايمكن أن يقبلوه هو تبسيط تعليم الفصحى وليس قواعدها •

ويبدو من كل ماتقدم في هذه الفقرة ان هنالك سوء فهم أساسي لطبيعة الاستعمال اللغوي • فأن استعمال لغة أو لهجة ما في المجتمع المزدوج لغويا أمر لايقرره قانون أو تعليمات أو حجج منطقية حيث ان القوى والعوامل المؤثرة غالبا ماتكون قد أخذت مجراها لتقرير اتجاه ومستقبل الازدواجية بغض النظر عن حجج ومناقشات الفرقاء المتخاصمين •

ولعل في استقراء نتائج عدد من الحالات الازدواجية في الماضي في أنحاء أخرى من العالم وفي دراسة القوانين العامة للتطور اللغوي مايساعدنا في التكهن بمستقبل الازدواجية العربية ويحدد لنا بشكل أوضح الاحتمالات الممكنة لتطورها • وفي أدناه استعراض وتقييم سريعين للاحتمالات المتوقعة للتطور في هذا المجال •

(١) احتمال أن يبقى الوضع الازدواجي مستقرا دون تغيير • لقد سبق وذكرت بأن انتشار التعليم ومكافحة الامية كفيلان بزعزعة استقرار الوضع الازدواجي • لذا فليس من المتوقع بقاء الوضع الازدواجي مستقرا في المستقبل البعيد •

(٢) احتمال أن تصبح الفصحى لغة للحياة بكل جوانبها • لعل أكبر عائق في وجه تحقق هذا الاحتمال هو عدم وجود أي منطقة جغرافية أو

---

(٢٠) لاحظ مثلا الفرق بين ترتيب كلمات الجملة في الفصحى والعامية الناتج عن وجود حركات اعرابية في الاولى وغيابها في الثانية • انظر صفحة ٨٨ •

قطاع اجتماعي في الوطن العربي تستعمل الفصحى فيه لغة للحياة اليومية. كما وان تعقيد نحو الفصحى الكلاسيكية يجعل استعمالها صعبا جدا حتى على المتخصصين في اللغة أنفسهم • لذا يبدو أنه ليس من المحتمل أن يتحقق استعمال الفصحى الكلاسيكية كلغة عامة في المستقبل •

(٣) احتمال أن يستعمل كل قطر عربي لغته العامية للاغراض الثقافية والدينية والكتابة بدلا من الفصحى وذلك بالاضافة لاستعمالها الحالي للاغراض الحياتية • ان عدم توقع تحقق هذا الاحتمال في المستقبل يرجع لعمق مشاعر الوحدة السياسية بين مختلف الاقطار العربية التي تجسده اللغة القومية الواحدة على نطاق الوطن العربي بأجمعه •

(٤) احتمال أن تستعمل احدى العاميات العربية كلغة عامة للثقافة والحياة في جميع أرجاء الوطن العربي • ان هذا الاحتمال كان سيكون ممكن التحقيق فيما لو كان هنالك في الوطن العربي مركز اشعاع رئيس واحد أو عدة مراكز تسود فيها لهجة عامية واحدة ، أما وأن هنالك مراكز ثقافية واقتصادية متعددة في مناطق تسود فيها لهجات مختلفة (كبغداد ودمشق والقاهرة مثلا) ، فأن احتمال أن تحل لهجة أحد هذه المراكز محل اللهجات الاخرى كلغة يومية وثقافية في جميع أرجاء الوطن العربي غير وارد •

(٥) ويبقى أخيرا ظهور لغة وسطى تجمع بين بعض خصائص الفصحى والعامية • ان استعمال شكل من أشكال اللغة الوسطى هذه التي من أبرز خصائصها استنادها على الفصحى مع الغاء الحركات الاعرابية هو الآن شائع فعلا على ألسنة المتعلمين في مختلف الاقطار العربية ، وحتى على ألسنة أنصار الفصحى منهم • ولعل في ملاحظة التطور اللغوي لعدد من اللغات المعربة

التي فقدت حركاتها الاعرابية[٢١] خلال تطورها اللغوي ما يشير الى أحد عناصر نجاح هذه اللغة الوسطى • كما وان اختلاف النحاة العرب فيما بينهم وحقيقة ان الاعراب كما تصوره كتب النحو العربي لم يكن سليقة لغوية لاي من العرب بدليل ان فطاحل اللغة أنفسهم لم ينجوا من اللحن[٢٢]، كل هذا قد يفسر اختفاء الحركات الاعرابية من أغلب المواضع عند الكلام بالفصحى وبالتالي انتشار استعمال اللغة الوسطى على ألسنة المتعلمين واحتمال ازدياد استعمالها في المستقبل •

ومع كل هذا فأن المشكلة الرئيسة هنا هي ان التطورات اللغوية تتحكم فيها متغيرات عديدة • ويبقى دور القوى السياسية والاجتماعية والثقافية في هذا المجال مؤثرا جدا • ورغم أن مشكلة الازدواجية اللغوية هي في الاساس مشكلة لغوية ، الا أن حل هذه المشكلة وتطورها المستقبلي تتحكم فيه عوامل غير لغوية في الغالب •

---

(٢١) كاللغة اللاتينية مثلا التي فقدت لهجاتها المتعددة ، والتي تطورت الى لغات مختلفة ، مثل الانكليزية والفرنسية وغيرها حركاتها الاعرابية •

(٢٢) انظر مناقشات د• ابراهيم انيس حول هذا الموضوع في الفصل الرابع من كتابه **في اللهجات العربية** •

قائمة المراجع

(أ) المراجع العربية

انيس ، ابراهيم · **في اللهجات العربية** ·

(القاهرة : مكتبة الانجلو ـ مصرية ، ١٩٦٥)

ـــ **من أسرار اللغة** ·

(القاهرة : مكتبة الانجلو ـ مصرية ، ١٩٦٦)

بنعبدالله ، عبدالعزيز · « نحو تفصيح العامية في الوطن العربي ـ دراسات مقارنة بين العاميات العربية » ، **اللسان العربي** (المجلد التاسع ، الجزء الثاني ، ١٩٧٢) ·

الصالح ، صبحي · **دراسات في فقه اللغة** ·

(بيروت : المكتبة الاهلية ، ١٩٦٢) ·

ظاظا ، حسن · **اللسان والانسان** ·

(القاهرة : ١٩٧١) ·

عبدالملك ، زكي · « الصراع بين الفصحى والعامية » ، **اللسان العربي** (المجلد الثامن ، الجزء الاول ، ١٩٧١)

المخزومي ، مهدي · **في النحو العربي** ·

(بيروت : المكتبة العصرية : ١٩٦٤) ·

(ب) المراجع الاجنبية

Altoma, Salih J. **The Problem of Diglossia in Arabic** (Cambridge, Mass. : Harvard University Press, 1969).

Bishai, Wilson B. "Modern Inter-Arabic,"

Journal of the American Oriental Society

(Vol. 86, 1966).